

## المحاضرة الأولى

### تعريف الوجوه والنظائر في اللغة

#### تعريف الوجوه لغة:

قال ابن دريد<sup>(1)</sup>: «وجه الكلام: السبيل التي تقصدها به. ووجوه القوم: سادتهم. وصرفت الشيء عن وجهه أي عن سننه... وكساء موجّه: له وجهان، ويجمع وجه على أوجه ووجوه وأجوه»<sup>(2)</sup>.  
وقال ابن فارس<sup>(3)</sup>: «الواو والجيم والهاء: أصلٌ واحد يدلُّ على مقابلة الشيء. والوجه مستقبلٌ لكلِّ شيء. يقال وَجَّهَ الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ. وَرَبَّمَا عُبِّرَ عَنِ الذَّاتِ بِالْوَجْهِ. وَتَقُولُ: وَجَّهِي إِلَيْكَ... وَوَجَّهْتُ فَلَانًا: جَعَلْتُ وَجْهِي تَلْقَاءَ وَجْهِهِ.

ومن الباب قولهم: هو وجيةٌ بيِّنُ الجاه.

والوجهة: كلُّ موضعٍ استقبلته...

ووجَّهت الشيء: جعلته على جهة واحدة...

والتَّوجِيه: أن تُحْفِرَ تَحْتَ الْقِتَاءَةِ أَوْ الْبِطِيخَةِ ثُمَّ تُضَجِّعُهَا.

وَتَوَجَّهَ الشَّيْخُ: وَلَّى وَأَدْبَرَ، كَأَنَّهُ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ عَلَى الْآخِرِ.

ويقال للمُهرِّ إِذَا خَرَجَتْ يَدَاهُ مِنَ الرَّحْمِ: وَجِيَّةٌ»<sup>(4)</sup>.

#### تعريف النظائر لغة:

قال ابن فارس: «النون والطاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعه إلى معنى واحد، وهو تأمُّلُ الشيءِ ومعاينته، ثم يُسْتَعَارُ وَيُتَّسَعُ فِيهِ. فيقال:

(1) هو: محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية، أبو بكر، الأزدي البصري، قال الذهبي: "كان آية من الآيات في قوة الحفظ"، من تصانيفه: "الجمهرة في اللغة"، و"المجتبى"، وغيرها. توفي سنة 321هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء: الذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، حسين سليم أسد. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1413هـ، 96/15.

(2) ينظر: جمهرة اللغة: ابن دريد، تحقيق: رمزي منور بعلبكي. دار العلم للملايين، بيروت، 1987م، مادة "وجه"، 250/1.

(3) هو: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين الرازي، من أكابر أئمة اللغة، كان فقيهاً، شافعيًا، ثم انتقل إلى مذهب مالك في آخر أمره، من مصنفاته: حلية الفقهاء، متخير الألفاظ، توفي سنة 395هـ. ينظر: الوافي بالوفيات: صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركبي مصطفى. دار إحياء التراث العربي - بيروت. الطبعة الأولى 2000م، 279/7.

(4) معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر. 1399هـ - 1979م، 88/6. وينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية، 8249/1.

نظرت إلى الشّيء أنظر إليه، إذا عاينته. ويقولون: نَظَرْتُهُ، أي انتظرته، كأنّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه. ومن باب المجاز والالتساع قولهم: نَظَرَتِ الْأَرْضُ: أَرَتْ نَبَاتَهَا. ويقولون: نَظَرَتِ بَعِينٍ. ومنه نَظَرَ الدهرُ إلى بني فلانٍ فأهلكهم. وهذا نظيرُ هذا؛ أي إذا نُظِرَ إليه وإلى نُظِيرِهِ كانا سواءً. وبه نَظَرَةٌ، أي شُحوب، كأنّه شيءٌ نُظِرَ إليه فشَحِبَ لونه»<sup>(5)</sup>. ونظير: هو المثل<sup>(6)</sup>، وفلان نظيرك أي مثلك: أي إذا نظر إليكما الناظر رآكما سواء. وجمعها النظائر في الكلام والأشياء كلها<sup>(7)</sup>.

وفي حديث أبي وائل قال: جاء رجلٌ إلى ابن مسعودٍ فقال: قرأتُ المُفَصَّلَ اللَّيْلَةَ فِي رَكْعَةٍ. فقال: «هَذَا كَهَذَا الشِّعْرِ! لَقَدْ عَرَفْتُ النَّظَائِرَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بَيْنَهُنَّ، فَذَكَرَ عِشْرِينَ سُورَةً مِنَ الْمُفَصَّلِ، سُورَتَيْنِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ»<sup>(8)</sup>. وسميت نظائر لاشتباه بعضها ببعض في الطول<sup>(9)</sup>. قال الحافظ ابن حجر: «أَيُّ السُّورِ الْمُمَثِّلَةِ فِي الْمَعَانِي، كَالْمَوْعِظَةِ، أَوْ الْحُكْمِ، أَوْ الْقَصَصِ، لَا الْمُتَمَثِّلَةَ فِي عَدَدِ الْآيِ... قَالَ الْمُحِبُّ الطَّبْرِيُّ<sup>(10)</sup>: كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْمُرَادَ أَنَّهَا مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْعَدَدِ، حَتَّى اعْتَبَرْتُهَا فَلَمْ أَجِدْ فِيهَا شَيْئًا مُتَسَاوِيًا»<sup>(11)</sup>.

- 
- (5) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 88/6. وتاج العروس، الزبيدي، 8249/1.
- (6) المفردات في غريب القرآن: الراغب الأصفهاني، مراجعة وضبط محمد خليل عيتاني. دار المعرفة، بيروت. الطبعة الرابعة، 1426هـ - 2005م. ص 500.
- (7) لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت. الطبعة الأولى، 215/5. والفائق في غريب الحديث: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانية، 455/1.
- (8) أخرجه البخاري في الجامع الصحيح، كتاب فضائل القرآن، باب مد القراءة، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت. الطبعة الثالثة، 1407 - 1987م، 234/3.
- (9) ينظر: تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى. دار إحياء التراث العربى، بيروت، 2001م، 40/5.
- (10) هو: أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس المكي الشافعي المحب الطبري. كان إماماً زاهداً صالحاً. صنف الأحكام الكبرى. توفي سنة 694هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات. دار = الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ - 1998م، 1474/4. وطبقات الحفاظ: جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م، ص 514.
- (11) فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، 259/2.

## تعريف الوجوه والنظائر اصطلاحاً:

إنّ أقدم تعريف للوجوه والنظائر في القرآن الكريم، هو تعريف الإمام ابن الجوزي، أمّا من سبقه ممن ألّف في هذا الفن، فلم يقدّموا لمؤلّفاتهم بتعريف اصطلاحى للفظي الوجوه والنظائر، إلّا أننا يمكن إعطاء بعض التعريفات الاجتهادية لهؤلاء، من خلال صنيعهم في مصنّفاتهم، وعلى كل فالعلماء مختلفون في تصوّرهم للوجوه والنظائر إلى آراء عدّة:

الرأي الأول: "الوجوه: تعني المعاني المختلفة للفظة القرآنية في مواضعها المختلفة من القرآن، والنظائر: تعني المواضع المتعددة للوجه الواحد".

يمثل هذا الاتجاه صاحب أوّل مصنف وصل إلينا في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الإمام مقاتل بن سليمان البلخي، إذ كل من جاء بعده عالة عليه في هذا الفن، فكتابه أصل معتمد لديهم، وغاية جهدهم أن يستدركوا عليه بعض الوجوه لم يذكرها، أو بعض النظائر التي أهملها.

ولقد تتبع الدكتور مساعد الطيّار في كتابه "التفسير اللغوي"، كتاب مقاتل بن سليمان البلخي، وقام باستقراءه، واستخلص تعريفاً للوجوه والنظائر لديه، فقال: « حَرَصْتُ على استقراء أوّل كتابٍ فيه - أي الوجوه والنظائر - : كتابِ مقاتلِ بنِ سليمانِ البلخيِّ، حتى أتبيّنَ منه المرادَ بهذا المصطلحِ؛ لأنّ من كتبَ بعده في هذا العلمِ عالةٌ عليه، وإذا ظهرَ مرادُه بهذا المصطلحِ، فإنه يُحتَكَمُ إليه، ويُصحَّحُ ما خالفه من التّعريفاتِ التي ذكرها العلماءُ. وبعدَ استقراءِ كتابِ مقاتلٍ، ظهرَ لي مرادُه بعلمِ الوجوه والنظائرِ، وإليك هذا المثال الذي يتبيّنُ منه مرادُه بالوجوه والنظائر:

قال مقاتل: "تفسيرُ الحسنِ على ثلاثة وجوه:

فوجهٌ منها: الحسنِ؛ يعني: الجنّة، فذلك قوله في يونسَ : چ ب ب بچ<sup>(12)</sup>؛ يعني: الذين وحّدوا لهم الحسنِ؛ يعني: الجنّة، چوزيادّهچ؛ يعني: النَّظَرُ إلى وجهِ الله.

ونظيرُها في النَّجم، حيثُ يقولُ: چڭ بڭ گڭ چچ<sup>(13)</sup>؛ يعني: بالجنّة. وكقوله في

الرحمن: چو و و وچ<sup>(14)</sup>؛ يقول: هل جزاءُ أهلِ التّوحيدِ إلا الجنّة.

(12) يونس: 26.

(13) النجم: 31.

(14) الرحمن: 60.

والوجه الثاني: الحسنى؛ أي: البنون، فذلك قول الله تعالى في النَّحْلِ: **چ و ي چ** (15)؛ أي: البنون.  
والوجه الثالث: الحسنى؛ يعني: الخير، فذلك قوله في براءة **چ ت ت ت ت** (16)؛ يقول: ما أردنا ببناء المسجد إلاَّ الخير. ونظيرها في النساء: **چ ژ ژ ژ ک ک چ** (17)؛ يعني: الخير (18).  
قال تحليلُ هذا المثال:

**1 -** إِنَّ مقاتلَ بنِ سليمان جعلَ لفظَ الحسنى في القرآن على ثلاثة وجوه: "الجنَّة، والبنون، والخير"، وهذه الوجوه معانٍ مختلفةٌ لهذه اللَّفظة.

**2 -** يكفي في الوجوه اتفاقها في المادَّة، وإن لم تتفق في صورة اللَّفظة؛ كالحسنى والإحسان.

**3 -** فسَّرَ الحسنى في الوجه الأول في آية يونسَ بأنها الجنَّة، ثمَّ جعل الحسنى في آية سورة النَّجمَ نظيرةً لآية سورة يونس .

وفسَّرَ الحسنى في آية سورة براءة بأنها الخير، ثمَّ جعل الحسنى في آية سورة النساءَ نظيرةً لها، فهما موضعان مختلفان من القرآن، لكنهما اتفقا في مدلول اللَّفظة، وهذا يعني أنَّ تماثل المدلول في الآيتين هو النظائر .

**4 -** وإنه لم يذكر في الوجه الثاني نظيرًا للآية، وهذا يعني أنَّه لا يلزم أن يكونَ في كلِّ وجهٍ من الوجوه نظائرٌ من الآيات.

ومن هذا الموضع المنقول عن مقاتلٍ يتحرَّرُ مصطلحُ الوجوه والنِّظائر، ويكونُ كالاتي:

الوجوهُ : المعاني المختلفةُ لِلَّفظةِ القرآنيةِ في مواضعها من القرآن.

والنِّظائرُ : المواضعُ القرآنيةُ المتعدِّدةُ للوجهِ الواحدِ التي اتفقَ فيها معنى اللَّفظةِ، فيكون معنى اللَّفظةِ في هذه

الآيةِ نظيرَ - أي: شبيهه ومثيل - معنى اللَّفظةِ في الآيةِ الأخرى، والله أعلمُ (19).

فالدكتور مساعد الطيار يري من خلال استقرائه لكتاب مقاتل:

**1 -** كلٌّ من الوجوه والنظائر مرتبط بالمعاني لا بالألفاظ، وقد أكد ذلك في وقوله: "فيكون معنى

اللفظ في هذه الآية نظير معنى اللفظ في الآية الأخرى".

(15) النحل : 62.

(16) التوبة : 107.

(17) النساء : 62.

(18) الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، مقاتل البلخي، تحقيق عبد الله شحاته، دار غريب، القاهرة، 2001م، ص110.

(19) التفسير اللغوي للقرآن: مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة 1. 1422هـ، ص91 - 94. وينظر: أنواع التصنيف

المتعلقة بتفسير القرآن الكريم للمؤلف نفسه، دار ابن الجوزي، ط2، 1423هـ. ص221 - 222.

2 - أنه نسب النظائر إلى مواضع المعاني لا إلى الألفاظ. ويشبه هذا ما ذهبت إليه الدكتورة هند شليبي، حين ذكرت أن النظائر تدل على الآيات التي تحوي الألفاظ ذات المعاني الواحدة، فالآية الأولى نظيرة الآية الثانية<sup>(20)</sup>.

ولما تناول الدكتور حاتم الضامن تعريف الوجوه والنظائر استأنس إلى مثال ذكره من كتاب الوجوه والنظائر لهارون بن موسى القارئ، قال: «قال هارون في تفسير "الفساد": تفسير الفساد على ستة وجوه:

فوجه منها: الفساد: المعاصي، فذلك قوله، عزّ وجل، في البقرة: **چ گ گ ب گ ب**<sup>(21)</sup>؛ يعني: لا تعملوا فيها المعاصي. نظيرها في الأعراف: **چاڭ ڭ ڭ و و**<sup>(22)</sup>؛ يقول: لا تعملوا فيها المعاصي، ونحوه كثير...".

فمعنى "نظيرها": شبيهها ومثيلها في المعنى نفسه.

فالوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على شكل واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر؛ فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير لفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر هو النظائر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه. إذا النظائر اسم للألفاظ، والوجوه اسم للمعاني<sup>(23)</sup>.

ومن خلال هذا البيان لمعنى الوجوه والنظائر، نلاحظ أن الدكتور حاتم الضامن استعان بصنيع الإمام هارون بن موسى لضبط مفهوم اللفظين، وأرى أن نصّ هارون بن موسى لا يسعفه، ولا يناسب النتيجة التي توصل إليها، والتي هي في الأصل كلام ابن الجوزي.

فتفسير الفساد في آيتي البقرة والأعراف بالمعاصي، يعد وجهاً من الوجوه المتعددة لفظ الفساد. فاتفاق المعنى في الموضعين المختلفين للفظ الواحد، هو النظر في رأي هارون بن موسى. وعليه فالوجوه لدى هارون بن موسى هي المعاني المختلفة للفظ الواحد، أما النظائر فهي تعدد مواضع الوجه الواحد.

(20) ينظر: مقدمة التحقيق التصاريف: يحيى بن سلام. تحقيق: هند شليبي. الشركة التونسية للتوزيع. تونس، 1979م.

(21) البقرة: 11.

(22) الأعراف: 56.

(23) الوجوه والنظائر في القرآن عند السيوطي، الدكتور حاتم صالح الضامن، مجلة آفاق الثقافة و التراث، العدد 34، السنة 09، ربيع الآخر 1422هـ - يوليو 2001م، ص 7.

وهذا ما أكدته الدكتور مساعد الطيار أيضا في موضع آخر قال فيه: « قيل في تعريف الوجوه والنظائر: الوجه: الاتفاق في اللفظ، والنظائر: اختلاف المعنى، وهذا أيضا ليس بدقيق. والصواب من خلال عمل مقاتل أن مراده بالوجوه: تعدد المعاني التي وردت للفظ الواحد في القرآن، مثلا: (الهدى) وردت بمعنى الثبات والدين ونحوها فهذه وجوه، وإذا جاء في أحد هذه الوجوه أكثر من آية فهي نظائر»<sup>(24)</sup>.

وهذا يتوافق مع ما ذكره الدكتور في استخلاص معنى الوجوه والنظائر عند مقاتل بن سليمان، وخاصة إذا علمنا أن كتاب هذا الأخير هو الأصل لكتاب الإمام هارون بن موسى. والوجوه بهذا المعنى ذهبت إليه الأستاذة سلوى العوا في قولها: « الوجوه اصطلاح يدل على المعاني المختلفة للفظ الواحد أو على المقاصد المختلفة من اللفظ الواحد في السياقات أو المواضع المتعددة »<sup>(25)</sup>، وخالفت في معنى النظائر إذ جعلتها في الألفاظ، كما سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

### الرأي الثاني: "الوجوه أسماء للمعاني المختلفة، والنظائر أسماء لألفاظ تلك المعاني".

وأول من نقل عنه هذا المعنى للمصطلح المذكور هو الإمام ابن الجوزي (ت 597 هـ) في قوله: «واعلم أن معنى الوجوه والنظائر: أن تكون الكلمة الواحدة قد ذكرت في مواضع من القرآن الكريم على لفظ واحد وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى للكلمة غير معناها في المكان الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى يناسبها غير معنى الكلمة الأخرى، هذا ما يسمى (الوجوه)، أما النظائر: فهو اسم للألفاظ، وعلى هذا تكون الوجوه اسماً للمعاني، ومن هنا كان الأصل في وضع كتب الوجوه والنظائر»<sup>(26)</sup>.

فالوجوه لدى ابن الجوزي اسم للمعاني المختلفة للكلمة الواحدة، والنظائر اسم للألفاظ. وهذا المفهوم يخالف ما ذكرناه سابقا عن الإمام مقاتل وهارون بن موسى.

(24) تعليقات الشيخ الدكتور مساعد الطيار على كتاب الإتقان، موقع ملتقى أهل التفسير.

(25) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: سلوى محمد العوا. دار الشروق. ط1، 1419 هـ - 1998 م، ص46.

(26) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: ابن الجوزي، وضع حواشيه خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت. ط1، 2000 م، ص12.

كما أن تقييد ورود الكلمة الواحدة على لفظ واحد وحركة واحدة غير مستساغ؛ لأن الواقع التطبيقي في مصنفات الوجوه والنظائر يخالف ذلك، فيذكرون الكلمة بمختلف اشتقاقاتها، وحركاتها المتعددة<sup>(27)</sup>.

وترى الأستاذة سلوى العوا أن ما ذهب إليه ابن الجوزي هو الصحيح، في قولها: «الوجوه ليست ألفاظاً أصلاً، بل الوجوه معان ومقاصد استدل عليها المفسرون من السياق الذي ورد اللفظ جزءاً منه، ويدل على ذلك استعمال جميع المؤلفين فيها، إذ يذكر اللفظ ثم يقول: على كذا وجه، الوجه الأول كذا والثاني كذا...»

أما النظائر، فإما أن يكون لفظاً عاماً، يدل على الألفاظ التي يتعدد المفهوم منها والمقصود بها في القرآن الكريم فكل منها في موضع نظير للآخر في الموضع الآخر، فالأمة مثلاً على خمسة وجوه، كل استعمال (سياق)، يكون اللفظ فيه نظيراً للآخر في السياق الآخر، فلفظ الأمة في موضع، نظير له في الموضع الآخر وهكذا<sup>(28)</sup>.

### الرأي الثالث: " الوجوه تكون في الألفاظ المشتركة، والنظائر تكون في الألفاظ المتواطئة".

وبمثل هذا الموقف الإمام الزركشي (ت794هـ)، في قوله: «الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان؛ كلفظ "الأمة"، والنظائر كالألفاظ المتواطئة. وقيل النظائر في اللفظ، والوجوه في المعاني، وضعف؛ لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة؛ فيجعلون الوجوه نوعاً لأقسام، والنظائر نوعاً آخر، كالأمثال.

وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل؛ ولا يوجد ذلك في كلام البشر<sup>(29)</sup>.

وجعله النظائر للألفاظ المتواطئة لا يستساغ؛ لأنه لا يماثل لفظ الوجوه، فكيف يعطف عليه، والمتعاطفان لا بد من تجانسهما<sup>(30)</sup>.

(27) ينظر: مقدمة تحقيق التصاريف ليحيى بن سلام، عائشة بنت الشاطيء، ص24.

(28) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم: سلوى محمد العوا، دار الشروق، ط1، 1419هـ-1998م، بتصرف، ص46-47.

(29) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، 1391هـ، 102/1.

(30) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، سلوى العوا، بتصرف، ص47.

وتبعه في ذلك الإمام السيوطي (ت911هـ) في قوله: «فالوجه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة. وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سمّيته معترك الأقران في مشترك القرآن. والنظائر: كالألفاظ المتواطئة. وقيل النظائر في اللفظ والوجه في المعاني. وضعف لأنه لو أريد هذا لكان الجمع في الألفاظ المشتركة، وهم يذكرون في تلك الكتب اللفظ الذي معناه واحد في مواضع كثيرة فيجعلون الوجه نوعاً لأقسام والنظائر نوعاً آخر»<sup>(31)</sup>.

الرأي الرابع: "كل من الوجه و النظائر في الألفاظ، فالوجه الألفاظ التي اختلفت معانيها، والنظائر الألفاظ التي اتفقت معانيها".

و يمثل هذا الموقف الإمام ابن تيمية (ت728هـ) في قوله: « فالنظائر اللفظ الذي اتفق معناه في الموضوعين و أكثر، والوجه الذي اختلف معناه، كما يقال الأسماء المتواطئة والمشاركة، وإن كان بينهما فرق...

وقد قيل هي نظائر في اللفظ ومعانيها مختلفة فتكون كالمشاركة، وليس كذلك بل الصواب أن المراد بالوجه والنظائر هو الأول... ودلالة اللفظ الواحد على المعاني المختلفة تسمى الوجه»<sup>(32)</sup>.  
وكأنه يوجه التقيد للمعنى السابق الذي ذكره الإمام ابن الجوزي.

---

(31) الإتيان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد المنذوب. دار الفكر، لبنان، 1416هـ-1996م، 1/142.

(32) كتب ورسائل وفتاوى ابن تيمية في التفسير، 17/423.



## المحاضرة الثانية

### العلاقة بين الأشباه والوجوه والنظائر

الأشباه في اللغة: (شبه) الشين والباء والهاء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تشابه الشيء، وتشاكُلِهِ لوناً وَوَصْفاً.<sup>(33)</sup>

والشَّبَهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ المِثْلُ، والجمع أشباهٌ. وَأَشْبَهُ الشيءُ الشيءَ ماثله وفي المثل: "مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ" ...<sup>(34)</sup>

وَشَبَّهْتُ الشيءَ بالشيءِ أقمته مقامه لصفة جامعة بينهما، وتكون الصفة ذاتية أو معنوية. فالذاتية نحو هذا الدرهم كهذا الدرهم... والمعنوية نحو زيد كالأسد أي في شدته... وقد يكون مجازاً نحو (الغائبُ كالمعدوم).<sup>(35)</sup>

وانطلاقاً من المعنى اللغوي؛ فإن الأشباه تعني الأمور المتماثلة في صفة وأكثر، وكل شيء يشبه آخر نقول ماثله، أو ناظره، فالأشباه بمعنى النظائر.

وعليه، نقول: "الوجوه والنظائر"، و"الوجوه والأشباه"، فالعبارتان سواء من حيث المعنى. ولا يصح القول: "الأشباه و النظائر"، لأن الوجوه معان ومدلولات لا يستقيم تعويضها بالأشباه و التي تعني التماثل.<sup>(36)</sup>

(33) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 243/3.

(34) لسان العرب، ابن منظور، 503 /13.

(35) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ. المكتبة العلمية، بيروت، 303/1.

(36) ينظر: الوجوه والنظائر في القرآن عند السيوطي، الدكتور حاتم صالح الضامن، مجلة آفاق الثقافة و التراث، العدد 34،

السنة 09، ربيع الآخر 1422هـ - يوليو 2001م، ص 8.

## المحاضرة الثانية

### المشترك اللفظي

#### المشترك اللفظي عند أهل اللغة:

إن أقدم من تناول مسألة المشترك اللفظي من اللغويين هو سيبويه<sup>(37)</sup> في كتابه في "باب اللفظ للمعاني"، قال: «اعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين... فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس، وذهب. واختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: ذهب، وانطلق. واتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموحدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة. وأشبه هذا كثير»<sup>(38)</sup>. فالقسم الثالث الذي ذكره هو المشترك اللفظي. وساق هذا النص من بعده أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، وأضاف عليه بعض الأمثلة<sup>(39)</sup>.

وجاء بعده ابن فارس (ت395هـ) وذكر هذه المسألة في كتابه "الصاحبي في فقه اللغة"، في "باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق"، فقال: «يكون ذلك على وجوه: فمنه اختلاف اللفظ والمعنى، وهو الأكثر الأشهر... ومنه اختلاف اللفظ واتفاق المعنى، كقولنا: سيف وعَضْب وليث وأسد... ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا: عين الماء، وعين المال، وعين الرّكبة، وعين الميزان. ومنه في كتاب الله جلّ ثناؤه: ج ج ج بمعنى: حتم، كقوله جلّ ثناؤه: ج ج ج<sup>(40)</sup> وقضى بمعنى أمر، كقوله جلّ ثناؤه: ج ج ج<sup>(41)</sup>: أي أمر. ويكون قضى بمعنى أعلم، كقوله جلّ ثناؤه: ج ج ج ي ي

---

(37) هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، وسيبويه لقبه، ومعناه رائحة التفاح. أصله أرض فارس ومنشؤه البصرة، ومات بشيراز سنة ثمانين ومائة. وقال أحمد بن يحيى ثعلب في أماليه: "توفي وعمره نيف وأربعون سنة بفارس. وصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه" في النحو". وكان إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ينظر: معجم الأدباء: ياقوت الحموي، تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى 1993م، 227/2. والأعلام: الزركلي، خير الدين بن محمود ابن محمد بن علي بن فارس. دار العلم للملايين. الطبعة 15، 2002م، 81/5.

(38) كتاب سيبويه: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، 5/1.

(39) ينظر: ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي، تحقيق: جمال الدين محمد شرف. دار الصحابة للتراث طنطا، ص7.

(40) الزمر: 42.

(41) الإسراء: 23.



وهذا ما أكدّه الأستاذ محمد نور الدين المنجد في قوله: «المشترك اللفظي عندنا هو كل لفظ مفرد يدلّ بترتيب حروفه وحركاته على معنيين فصاعداً دلالة خاصة، وبيئة واحدة، ولا يربط بين تلك المعاني رابط معنوي أو بلاغي»<sup>(51)</sup>.

### المشترك اللفظي عند الأصوليين وعلماء القرآن:

يعدّ المشترك اللفظي من المباحث الدلالية المهمّة عند الأصوليين، حيث تناولوه بالتعريف والتمثيل. ووضعوا له الضوابط الخاصة به.

فمن الأصوليين الذين عرفوا المشترك اللفظي الإمام الرازي في كتابه المحصول، بقوله: «اللفظ المشترك هو اللفظ الموضوع لحقيقتين مختلفتين أو أكثر وضعاً أولاً من حيث هما كذلك»<sup>(52)</sup>. فالإمام الرازي وضع القيد ذاته الذي سبق ذكره عند أهل اللغة، فهو يشترط:

1 - الحقيقة اللغوية في المعنيين.

2 - أن تكون هذه الحقيقة موضوعة أولاً؛ فلا تكون إحداها سابقة للأخرى.

وعرفه ابنُ الحَاجِبِ<sup>(53)</sup> بقوله: «هُوَ اللَّفْظُ الْوَاحِدُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنَيْيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، دَلَالَةً عَلَى السَّوَاءِ عِنْدَ أَهْلِ تِلْكَ اللُّغَةِ، سَوَاءٌ كَانَتْ الدَّلَالَتَانِ مُسْتَفَادَتَيْنِ مِنَ الْوَضْعِ الْأَوَّلِ أَوْ مِنْ كَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ، أَوْ أُسْتُفِيدَتِ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْوَضْعِ وَالْأُخْرَى مِنْ كَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ»<sup>(54)</sup>.

وهذا توسع من الإمام ابن الحاجب، حيث لم يزد على مجرد الدلالة على معنيين مختلفين.

---

(51) الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق: محمد نور الدين المنجد، دار الفكر، سورية، لبنان، ط1، 1419 هـ - 1999م، ص77.

(52) المحصول في علم الأصول: محمد بن عمر بن الحسين الرازي. جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض، الطبعة الأولى، 1400هـ، ص359.

(53) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية. كردي الأصل، ولد في صعيد مصر، ونشأ في القاهرة، وسكن دمشق، ومات بالإسكندرية. من تصانيفه: "الكافية" في النحو، و"مختصر الفقه"، و"منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل"، وغيرها، توفي سنة 646هـ. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر. إحسان عباس. دار صادر، بيروت، 248/3. والأعلام للزركلي، 211/4.

(54) نقلاً عن البحر المحيظ في أصول الفقه: بدر الدين الزركشي، المحقق: محمد محمد تامر. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ / 2000م، 302/2.

ويحدد الإمام الزرقاني طريق معرفة المشترك اللفظي بالقرائن ودلالة السياق، فيقول: «المشترك اللفظي يراد به أحد معانيه التي تعينها القرائن وتناسب المقام»<sup>(55)</sup>، ويقول أيضا: «المشترك اللفظي يدل على معناه المقصود متى قامت قرينة تعين ذلك المعنى، تقول: نظرت بالعين المجردة، وشربت من عين زبيدة. ومعناها واضح غير مشكل، مع أنّ لفظ العين فيهما مشترك لفظي، ولكن مدلوله يتعين في المثال الأول أن يكون جارحة الإنسان الباصرة. ومدلوله في المثال الثاني يتعين أن يكون نابعة الماء الجارية؛ وذلك بقرينة لفظ نظرت في المعنى الأول ولفظ شربت في الثاني»<sup>(56)</sup>.

### علاقة الوجوه بالمشترك اللفظي:

من خلال تعريف الوجوه والنظائر والاشتراك اللفظي، نلاحظ أن أبرز فرق بين التركيبين هو:

1. أن الوجوه تعني تعدد معنى اللفظ الواحد في مواضع مختلفة، أما الاشتراك اللفظي هو تعدد معاني اللفظ الواحد في موضع واحد أو مواضع مختلفة.
2. أن الوجوه تكون في معاني الألفاظ، أما الاشتراك يكون في الألفاظ.

واستعمال بعض الأئمة للوجوه على أنها المشترك اللفظي تتطلب منا وقفة تاريخية للنظر في موقف المؤلفين من هذه المسألة، فالمؤلفون في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، لم يرد عن أحد منهم استعمال مصطلح المشترك اللفظي في القرآن الكريم، بل حتى من استنكف عن استعمال مصطلح الوجوه والنظائر لجأ لاستعمال ما تعارف عليه أهل اللغة من "ما اتفق لفظه واختلف معناه".

ويمكن تفسير ثباتهم على استعمال مصطلح الوجوه والنظائر من باب ثبات المتأخر وتقليده للمتقدم عليه كما جرت عادتهم في ذلك، فأول من وصلنا استعماله لهذا المصطلح هو مقاتل بن سليمان، فكما قلده في الوجوه والنظائر التي ذكرها سلموا له أيضا في التسمية العامة لهذا الفن.

وقد يكون التوجيه بما ذكره بعضهم بالاستنكاف عن استعمال مصطلح "اللفظ"<sup>(57)</sup>، قال أبو الحسن

(55) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه. الطبعة الثالثة، 108/1.

(56) المرجع نفسه، 121/1.

(57) (لفظ): اللام والفاء والطاء كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء؛ وغالب ذلك أن يكون من الفم. تقول: لَفَطَ بالكلام يَلْفِظُ لَفْظًا. ولفظتُ الشيءَ من فمي. والألفِظَةُ: الدِّيك، ويقال الرَّحَى، والبحر. ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 259/1.

الأشعري<sup>(58)</sup>: فإن قال قائل: حدثونا عن اللفظ بالقرآن كيف تقولون فيه؟ قيل له: القرآن يقرأ في الحقيقة ويتلى ولا يجوز أن يقال: يلفظ به؛ لأن القائل لا يجوز له أن يقول إن كلام الله ملفوظ به؛ لأن العرب إذا قال قائلهم لفظت باللقمة من فمي فمعناه: رميت بها. وكلام الله تعالى لا يقال: يلفظ به، وإنما يقال: يقرأ، ويتلى، ويكتب، ويحفظ. وإنما قال قوم: لفظنا بالقرآن ليثبتوا أنه مخلوق ويزينوا بدعتهم وقولهم بخلقه ويدلسوا كفرهم على من لم يقف على معناهم<sup>(59)</sup>.

فقد يكون هذا التوجيه سببا في استعمال مصطلحات أخرى تحوي مفهوم معنى الاشتراك اللفظي. هذا بالإضافة إلى أن جميع من ألف في علوم القرآن لم يستعملوا مصطلح "المشترك اللفظي"، بل "الوجوه والنظائر"، مع أن مصطلح الاشتراك ثابت لديهم.

ولتسوية عدد منهم الوجوه بالمشترك اللفظي، والنظائر بالمتواطئ، جاء تفسيرهم الوجوه والنظائر بهذين المصطلحين أعني: المشترك اللفظي والمتواطئ اللفظي.

وأول ما يستوقفنا هنا نص للإمام ابن تيمية جاء فيه: « والأسماء المشتركة في اللفظ هي من المتشابه، وبعض المتواطئة أيضا من المتشابه. ويسميا أهل التفسير: الوجوه والنظائر، وصنّفوا كتب الوجوه والنظائر؛ فالوجوه في الأسماء المشتركة، والنظائر في الأسماء المتواطئة.

وقد ظن بعض أصحابنا المصنفين في ذلك أن الوجوه والنظائر جميعا في الأسماء المشتركة، فهي نظائر باعتبار اللفظ ووجوه باعتبار المعنى. وليس الأمر على ما قاله، بل كلامهم صريح فيما قلناه لمن تأمله<sup>(60)</sup>.

فاستعمال ابن تيمية للوجوه في الأسماء المشتركة، يوحي بالتقارب الشديد يكاد يصل إلى التطابق بين المصطلحين؛ لأنّ مبناهما واحد وهو الاتفاق في اللفظ والاختلاف في المعنى.

---

(58) هو علي بن إسماعيل بن أبي بشر، إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة، عامر بن أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله، صلى الله عليه وسلم؛ هو صاحب الأصول، والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه، كان مولده سنة سبعين، وقيل ستين ومائتين بالبصرة. وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وقيل: سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، وقيل: سنة ثلاثين. ينظر: تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي أبو بكر. دار الكتب العلمية، بيروت، 346/11. ووفيات الأعيان، ابن خلكان، 284/3.

(59) الإبانة عن أصول الديانة: الأشعري، علي بن إسماعيل بن أبي بشر أبو الحسن، تحقيق: فوقية حسين محمود. دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1397هـ، ص 102.

(60) مجموع الفتاوى: تقي الدين ابن تيمية الحراني أبو العباس. تحقيق: أنور الباز، عامر الجزائر. دار الوفاء، الطبعة الثالثة، 1426 هـ - 2005 م، 276/13.

وهذا ما أكده الإمام الزركشي في قوله: « الوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان؛ كلفظ "الأمة"، والنظائر كالألفاظ المتواطئة...»<sup>(61)</sup>.

وتبعه في ذلك السيوطي في كتابه "الإتقان"، في النوع التاسع والثلاثين "في معرفة الوجوه والنظائر"، حيث عرف الوجوه و النظائر بقوله: «فالوجوه: اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان كلفظ الأمة، وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سمّيته "معتك الأقران في مشترك القرآن". والنظائر: كالألفاظ المتواطئة»<sup>(62)</sup>.

وفي كتابه: "معتك الأقران"، في "الوجه الخامس والثلاثون من وجوه إعجازه: "المشترك اللفظي منه"، يثبت تطابق المصطلحين لديه، بذكره مصادر الوجوه والنظائر القرآنية ضمن قائمة مصادر المشترك اللفظي، فيقول: «وقد صنّف في هذا النوع وفي عكسه - وهو ما اختلف لفظه واتحد معناه - كثير من المتقدمين و المتأخرين؛ منهم ابن الجوزي، وابن أبي المعاني، وأبو الحسن محمد بن عبد الصمد المصري، وابن فارس، وآخرون. قال مقاتل بن سليمان في صدر كتابه الذي صنّفه في هذا المعنى...»<sup>(63)</sup>.

فالسويطي استعمل مصطلح الوجوه في كتابه "الإتقان"، بينما استعمل مصطلح "المشترك اللفظي" في كتابه "معتك الأقران".

هذا بالإضافة إلى اعتباره مصادر الوجوه والنظائر هي ذاتها مصادر المشترك اللفظي في القرآن الكريم، وهذا كله يؤكد تطابقهما لديه.

وفي مقابل هذا الفريق نجد عددا من الباحثين المعاصرين خالفوا هذا التوجّه، ورأوا التمايز بين مصطلح "الوجوه"، ومصطلح "المشترك اللفظي".

من هؤلاء الأستاذة سلوى العوا في قولها: «الوجوه اصطلاح يدل على المعاني المختلفة للفظ واحد أو على المقاصد المختلفة من اللفظ الواحد في السياقات أو المواضع المتعددة . هذه المعاني والمقاصد قد يربط بينها رابط نتبينه، كالتواطؤ أو غيره مما لم يكن موضع بحث المفسرين،

---

(61) البرهان في علوم القرآن، 102/1.

(62) الإتقان في علوم القرآن، 178/1.

(63) معتك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي. القاهرة. 1970م،





والوجوه المذكورة ما هي إلا معاني سياقية فرعية ترتبط بالمعنى الحقيقي للكلمات المدروسة. ففي واحد وخمسين لفظاً، ذكر أربعة ألفاظ فقط يمكن أن تندرج ضمن المشترك اللفظي "الأمة، الآية، الفتح، الفرقان"<sup>(68)</sup>.

### علاقة الوجوه والنظائر بالمتواطئ:

أما عن علاقة النظائر بالمتواطئ، فقد وضّحها أيضاً الإمامان ابن تيمية والزركشي في قوليهما اللذين سبق ذكرهما، فابن تيمية في قوله: «...والنظائر في الأسماء المتواطئة»<sup>(69)</sup>، والزركشي في قوله: «...والنظائر كالألفاظ المتواطئة»<sup>(70)</sup>.

فالنظائر لدى هؤلاء هي الألفاظ المتواطئة أو المترادفة، التي تعني تعدد الألفاظ واتحاد المعاني. وهذا يخالف المفهوم الذي ذكرناه سابقاً من أن النظائر هي الألفاظ أو المواضع المختلفة للفظ الواحد مع اتحاد المعنى.

وعلى هذا يطرح إشكال تعارض عناوين مؤلفات الوجوه والنظائر بمحتوياتها؛ إذ لا نجد للترادف موضعاً فيها.

ولحل هذا الإشكال سارع الدكتور أحمد مختار عمر لتوجيه هذا المذهب، فقال: «الذي يبدو لي أن كل مشترك لفظي يحمل في داخله ترادفاً، فإذا قلنا إن اللسان في القرآن الكريم على أربعة أوجه: اللغة، والدعاء، و العضو المعروف، والثناء الحسن. فمعنى هذا أن اللسان له أربعة وجوه أو أربعة معانٍ، فهو مشترك لفظي. وهو في نفس الوقت يملك عدة نظائر أو مترادفات. فاللسان مع اللغة يكون ترادفاً، وهو مع الدعاء يكون ترادفاً ثانياً.. وهكذا.

وإذا قلنا إن "الولي" على عشرة وجوه في القرآن، منها: الولد، والصاحب، والقريب والرب، والمولي الذي يعتق.. فمعنى هذا أن لفظ الولي نظائر أو مترادفات عدة، إذ يكون ترادفاً مع الولد، وترادفاً ثانياً مع الصاحب، وثالثاً مع القريب، ورابعاً مع الرب، وخامساً مع المولي.. وهكذا. فمن أجل هذا صح أن تحمل هذه الكتب اسم "الوجوه والنظائر" مشيرة بالوجوه إلى المعاني المتعددة للفظ، وبالنظائر

(68) ينظر: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم، بداية من الصفحة 75 إلى آخر الكتاب.

(69) مجموع الفتاوى، 13/276.

(70) البرهان في علوم القرآن، 1/102.

إلى الألفاظ المتعددة للمعنى»<sup>(71)</sup>.

ومن هذا المنطلق فالألفاظ المتواطئة لدى الدكتور أحمد مختار عمر: هي الألفاظ المختلفة للمعنى الواحد، كلفظة الأسد، والليث، والهزبر فهي تدل جميعها على معنى واحد. وهو ما أطلق عليه أيضا الألفاظ المترادفة.

والنظائر لديه لا تتعلق باللفظ الواحد في مواضع مختلفة يكون بمعنى واحد، بل بألفاظ مختلفة ذات معنى واحد، ولهذا سواها بالترادف.

وأيد الدكتور حسين حامد الصالح التعليقات التي ساقها الدكتور أحمد مختار عمر، حيث قال: «ويبدو لي أن هذا التعليل على جانب كبير من الصحة»<sup>(72)</sup>.

وردّ هذا المفهوم الدكتور مساعد الطيار في تعقيبه على تعريف السيوطي للوجوه و النظائر، بقوله: «قوله: "كالألفاظ المتواطئة"، هذا من المصطلحات المنطقية، وليست هي النظائر، فالنظائر في حقيقتها كما عند مقاتل: هي الآية التي تأتي على معنى واحد من معاني الوجوه فلا علاقة لها بالألفاظ المتواطئة»<sup>(73)</sup>.

إذا فمن ذهب إلى تفسير النظائر بأنها الألفاظ المتواطئة، قد خالف من سبق ذكرهم في مفهوم النظائر.

---

(71) علم الدلالة، أحمد مختار عمر، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1992م، ص149.

(72) التأويل اللغوي في القرآن الكريم: الدكتور حسين حامد الصالح، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، 2005م، ص298.

(73) تعليقات الشيخ الدكتور مساعد الطيار على كتاب الإتيان، موقع ملتقى أهل التفسير.



وضد الجهل العلم. فالاختلاف أعم من التضاد، إذ كان كل متضادين مختلفين، وليس كل مختلفين متضادين»<sup>(78)</sup>.

فمن خلال هذه التعريفات نتبين أن التضاد جنس كلامي يقصد منه وضع اللفظ الواحد لمعنيين متنافيين: أي لا يكتفى فيهما بمجرد الاختلاف فقد يقع الاجتماع معه، فلا بد من التنافي الذي لا اجتماع معه. وقد أوضح ذلك ابن فارس في مثاله: الليل و النهار. و أبو الطيب بالعلم و الجهل. فالضدية نوع من العلاقة بين المعاني، بل ربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى. فبمجرد ذكر معنى من المعاني، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولا سيما بين الألوان. فذكر البياض يستحضر في الذهن السواد. فعلاقة الضدية من أوضح الأشياء في تداعي المعاني. فإذا جاز أن تعبر الكلمة الواحدة عن معنيين بينهما علاقة ما، فمن باب أولى جواز تعبيرها عن معنيين متضادين؛ لأن استحضار أحدهما في الذهن يتتبع عادة استحضار الآخر؛ فالتضاد نوع من المشترك اللفظي في اللغات تصلح أن تكون عوامل الأضداد<sup>(79)</sup>.

إذا فالأضداد نوع من المشترك اللفظي، إلا أنها أخص منه، فالأضداد ما هي في الأصل إلا معان مختلفة للفظ واحد، ولما انطوت تلك المعاني على الضدية كل منهما للآخر، سمينا هذا تضادا. ونحن سبق وأن ذكرنا في المبحث السابق أن المشترك اللفظي انطلقا من تعريفه عند الأصوليين يمثل جزءا من مادة الوجوه و النظائر، وعليه فالأضداد تمثل جزءا من الوجوه و النظائر أيضا.

---

(78) الأضداد في كلام العرب: اللغوي الحلبي، أبو الطيب عبد الواحد بن علي، تحقيق: عزة حسن، المجمع العلمي، دمشق. ط1، 1963م، ص33.

(79) ينظر: في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس. مكتبة الأنجلو المصرية. مطبعة أبناء وهبة حسان. 2003هـ، ص179.

## عناية اللّغويين بالأضداد:

إن أول من ورد عنه الإشارة إلى الأضداد دون تسميتها هو الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175هـ)، فبعد ذكره لوجهي مادة "شعب"، قال: « من عجائب الكلام ووُسع العربيّة، أنّ الشَّعب يكون تفرُّقاً، ويكون اجتماعاً<sup>(80)</sup> ».

وكان ممن ألف في هذا الفنّ:

1. أبو علي محمد بن المستنير قطرب (ت206هـ)<sup>(81)</sup>، قال في مقدمته: « وإنما خصصناه بالإخبار لقلته في كلامهم و لطرافته<sup>(82)</sup> ».
2. أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت207هـ)<sup>(83)</sup>.
3. أبو عبيدة معمر بن المثنى (ت210هـ)<sup>(84)</sup>.

---

(80) كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. دار ومكتبة الهلال، 263/1. وينظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، 148/3/1.

(81) هو محمد بن المستنير بن أحمد، أبو علي، الشهير بقطرب، وهو لقب دعاه به أستاذه سيويه فلزمه. نحوى، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة، كان يرى رأي المعتزلة النظامية. من كتبه: "معاني القرآن"، و"النوادر"، و"الأضداد"، و"خلق الإنسان"، وغيرها. ينظر: طبقات المفسرين: أحمد بن محمد الأذنوي: تحقيق: سليمان بن صالح الخزي. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة. الطبعة الأولى، 1997، ص27. وبغية الوعاة، السيوطي، 242/1. والأعلام، الزركلي، 95 /7.

(82) أضداد قطرب، تحقيق حنا حداد رياض، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1984م، ص70.

(83) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن مروان الديلمي أبو زكريا، المعروف بالفراء. قيل له الفراء، لأنه كان يفري الكلام. كان أعلم الكوفيين بالنحو بعد الكسائي، أخذ عنه وعليه اعتمد، وكان متديّناً متورّعا. صنّف الفراء: "معاني القرآن"، و"البهاء فيما تلحن فيه العامة"، و"المصادر في القرآن"، وغير ذلك. مات سنة سبع ومائتين. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق: محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت، الطبعة: الأولى، 1407هـ، 80/1. وبغية الوعاة، السيوطي، 333/2.

- وكتاب الأضداد ذكره ابن النديم في الفهرست، دار المعرفة، بيروت، 1398 هـ - 1978م، ص100. وياقوت الحموي الرومي في معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. الطبعة الأولى 1993م، 109/1.

(84) معمر بن المثنى التيمي أبو عبيدة النحوي البصري، كان يميل إلى مذهب الخوارج، وكانت تصانيفه تقارب مائتي مصنف، منها: "كتاب مجاز القرآن"، و"كتاب غريب القرآن" و"كتاب القرآن"، و"كتاب غريب الحديث". توفي سنة تسع أو عشر أو إحدى عشر أو ثلاث عشرة ومائتين بالبصرة. ينظر: طبقات المفسرين، الأذنوي، ص30، 31.

- وكتاب الأضداد لابن المثنى ذكره إسماعيل باشا البغدادي في هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 191/2.

4. أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي (ت216هـ)<sup>(85)</sup>.
5. أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت224هـ)<sup>(86)</sup>.
6. أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوزي (ت233هـ)<sup>(87)</sup>.
7. أبو يوسف يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت (ت244هـ)<sup>(88)</sup>.
8. ثم أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت248هـ)<sup>(89)</sup>.
9. أبو العباس، أحمد بن يحيى الملقب بثعلب (ت291هـ)<sup>(90)</sup>.

(85) هو عبد الملك بن قريب بن أصمع بن مظهر، أبو سعيد الباهلي الأصمعي، إمام في النحو واللغة والأشعار، وكان متحرزا في التفسير، وأما في غيره فمتسامح. مات سنة 210 وولد سنة 125. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروزآبادي، ص35 - 36.

- وكتاب الأضداد للأصمعي حققه أوغست هفتر ضمن "ثلاثة كتب في الأضداد"، وطبع بالمطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة 1912م.

(86) هو أبو عبيد القاسم بن سلام، من أهل هراة، اشتغل بالحديث والأدب والفقه، وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع. كان رابيا متفنا في أصناف علوم الإسلام، روى الناس من كتبه المصنفة بضعة وعشرين كتابا في القرآن الكريم، والحديث وغيره، والفقه، وغير ذلك. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، 60/4 - 61.

- وكتاب الأضداد للهروي حققه محمد حسين آل ياسين، ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج38، ج4، 1987.

(87) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون التوزي، بفتح التاء وسكون الواو، الثوري البصري اللغوي، توفي سنة 238 هـ، من تصانيفه كتاب الأضداد. وكتاب الأمثال. وكتاب الخيل. وكتاب نوادر وغيرها. ينظر: هدية العارفين: إسماعيل باشا البغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1/ 229.

- وكتاب الأضداد للتوزي حققه محمد حسين آل ياسين، ونشره في مجلة المورد العراقية، مج8، ع3، 1979، وأعيد طبعه بيروت سنة 1983م.

(88) هو أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن السكيت، البغدادي النحوي المؤدب، ذين خير، برع في النحو واللغة. له من التصانيف نحو من عشرين كتابا. مات سنة أربع وأربعين ومائتين. ينظر: سير أعلام النبلاء، 16/12 - 18.

- وكتاب الأضداد لابن السكين حققه المستشرق أوغست هفتر ضمن ثلاثة كتب في الأضداد، وطبع بالمطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة 1912م.

(89) هو أبو حاتم سهل بن محمد بن عثمان بن يزيد السجستاني، النحوي اللغوي المقرئ، نزيل البصرة وعالمها؛ كان إماماً في علوم الآداب، وكان صالحاً عفيفاً، ويحتم القرآن في كل أسبوع، وله نظم حسن. وله من المصنفات، منها: "إعراب القرآن"، و"كتاب الطير"، المذكر والمؤنث"، و"النبات"، و"الفصاحة"، و"الأضداد". ينظر: وفيات الأعيان، 430/2.

- وكتاب الأضداد للسجستاني حققه المستشرق أوغست هفتر ضمن ثلاثة كتب في الأضداد، وطبع بالمطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة 1912م. وأعاد تحقيقه محمد عبد القادر أحمد، ونشرته مكتبة النهضة بالقاهرة، سنة 1991.

10. أبو علي العسكري عاصر الميرد<sup>(91)</sup>.
11. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت328)<sup>(92)</sup>.
12. أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه (ت347)<sup>(93)</sup>.
13. أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (ت351)<sup>(94)</sup>.
14. أبو القاسم، الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (ت370)<sup>(95)</sup>.

(90) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين، بغدادى وله معرفة بالقراءات، كان حجة ثقة، ومن تصانيفه: "اختلاف النحويين"، و"معاني القرآن"، و"الأمثال" و"الوقف والابتداء" وغير ذلك. توفي سنة 219هـ. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، 104/1. والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص9.

- وكتاب الأضداد لثعلب ذكره ابن النديم في الفهرست، ص82.

(91) لم أقف على ترجمته إلا ما جاء في لسان الميزان من أنه الحسن بن إدريس أبو علي العسكري، روى عن أبي نعيم وأحمد ابن حنبل وأحمد بن أبي الحوارى وغيرهم، روى عنه محمد بن القاسم بن محمد المديني وأحمد بن بندار وأبو الشيخ الحافظ ذكره أبو بكر بن مردويه، وقال: قدم أصبهان وكان يحدث من حفظه ويخطئ. ولا أدري أهذا هو أم لا؟ فالمراد عاش في هذه الفترة، فلعله يكون هو الحسن بن إدريس والله أعلم. ينظر: لسان الميزان: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت. الطبعة الثالثة، 1406هـ - 1986م، 2/196. - وكتاب الأضداد لأبي علي العسكري ذكره محمد المنجد في كتابه: التضاد في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق. الطبعة الأولى، 1420هـ 1990م، ص17. وذكر أنه أفاده من الفهرست، ص89. ولم أقف عليه في الفهرست.

(92) محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، نحوي على مذهب الكوفيين، كان أحفظ زمانه، يقال إنه كان يحفظ مئة وعشرين تفسيراً بأسانيدها، وكان من الصالحين، وله التصانيف المفيدة في النحو واللغة، منها: كتاب الزاهر في اللغة، وكتاب هاءات القرآن، وكتاب الأمالي، وكتاب غريب الحديث، وغير ذلك. توفي سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص71.

- وكتاب الأضداد لأبي بكر الأنباري حققه محمد أبو الفضل إبراهيم، نشرته المكتبة العصرية، بيروت سنة 1987م.

(93) هو أبو محمد عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه، كان فاضلاً مفنناً في علوم كثيرة من علوم البصريين، وله من الكتب: كتاب "الإرشاد في النحو"، وكتاب "شرح الفصيح"، وكتاب "المذكر والمؤنث"، وكتاب "التوسط بين الأخفش وثعلب في معاني القرآن"، وكتاب "المعاني في القراءات"، وكتاب "الأضداد"، وغيرها. وتوفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة. ينظر: الفهرست: ابن النديم، ص93-94.

- وكتاب الأضداد ابن درستويه ذكره ابن النديم في الفهرست، ص94. وحاجي خليفة في كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار الفكر، دمشق، 1982م، 1/115.

(94) حققه الدكتور عزة حسن، نشرته دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ط2 سنة 1996.

15. أحمد بن فارس أبو الحسين الرازي (ت395هـ)<sup>(96)</sup>.
16. أبو محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان (ت569هـ)<sup>(97)</sup>.
17. أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري (ت579)<sup>(98)</sup>.
18. أبو الفضائل الحين بن محمد الصغاني (ت650)<sup>(99)</sup>.
19. كمال الدين عبد الرحمن بن محمد العتائقي (ت790هـ)<sup>(100)</sup>.

(95) هو الحسن بن بشر بن يحيى أبو القاسم الأمدي الأصل، البصري المنشأ، إمام في اللغة والأدب والمعاني، له مؤلفات حسنة منها: "الموازنة بين الطائيين أبي تمام والبحثري"، وكتاب "الحروف في اللغة". وكتاب "المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء"، و"الأضداد"، وغيرها. توفي سنة 370 هـ. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص 14.

– وكتاب الأضداد لأبي القاسم الأمدي ذكره الباباني في هدية العارفين، 271/1.

(96) الصاحبي في فقه اللغة العربية، ص 117.

(97) هو أبو محمد، سعيد بن المبارك بن الدهان البغدادي النحوي، صاحب التصانيف، ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة، وتوفي سنة تسع وستين وخمسمائة. ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، 581 / 20 – 582.

– وكتاب الأضداد لابن الدهان حققه ونشره محمد حسن آل ياسين في المجموعة الأولى من نفاثات المخطوطات بالنجف، سنة 1953م، وأعاد طبعه سنة 1963م. ينظر: مقدمة تحقيق كتاب الأضداد لرضي الدين الصغاني، تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، سنة 1989م، ص 55.

(98) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، كمال الدين، أبو البركات الأنباري. قرأ على ابن الجواليقي وابن الشجري، وبرع، وله المصنفات المفيدة منها: "شرح دواوين الشعراء"، و"هدية الذاهب في معرفة المذاهب"، و"النور اللائح في اعتقاد السلف الصالح"، و"التنقيح في مسلك الترجيح"، و"الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين"، و"أسرار العربية". توفي سنة تسع وسبعين وخمسمائة. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص 33.

– وكتاب الأضداد لأبي البركات الأنباري ذكره السيوطي في كتابه بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفصل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، 1979م، 87/2. وكتابه المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، 397/1.

(99) هو الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي العدوي العمري، الإمام رضي الدين أبو الفضائل الصغاني. حامل لواء اللغة في زمانه. قال الذهبي: "ولد بمدينة لاهور سنة سبع وسبعين وخمسمائة، ونشأ بغزنة. وله من التصانيف: "مجمع البحرين في اللغة"، و"التكملة على الصحاح"، و"الشوارد في اللغات"، و"توشيح الدريديّة"، و"الأضداد"، و"مشارك الأنوار في الحديث"، و"شرح البخاري"، وتوفي سنة خمس وستمائة. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص 519.

– وكتاب الأضداد للصغاني حققه د. أوغست هفتر، وجعله ديلاً لـ "ثلاثة كتب في الأضداد"، طبع سنة 1913م. وأعاد تحقيقه محمد عبد القادر أحمد، نشرته مكتبة النهضة بالقاهرة، سنة 1989.

(100) هو كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم، الحلبي المعروف بان العتائقي الشيعي. له مؤلفات عديدة منها: "شرح نهج البلاغة"، وكتاب "الأضداد في اللغة"، وكتاب "الأعمار". ينظر: هدية العارفين، الباباني، 247/1.



20. شمس الدين محمد بن أحمد المدني (ت904هـ)<sup>(101)</sup>.

21. محمد بن بدر الدين المنشي (ت1001هـ)<sup>(102)</sup>.

كما جعلها بعض المؤلفين بابا في مؤلفاتهم، كأبي عبيد القاسم بن سلام (ت224هـ) في كتابه "الغريب المصنف"، والثعالبي (ت429هـ) في "فقه اللغة"، وابن سيده (ت458هـ) في "المخصص"، والسيوطي في المزهري في علوم اللغة".

---

- وكتاب الأضداد للعتاقي ذكره الباباني، هدية العارفين، 528/1.

(101) لم أقف على ترجمته. والكتاب ذكره أحمد الشرقاوي إقبال في معجم المعاجم، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1987م، ص300. نقلا عن محمد المنجد في كتابه: "التضاد في القرآن الكريم"، ص20.

(102) هو محمد بن بدر الدين الرومي، الحنفي، الشهير بالمنشي، صنف التفسير، اشتهر اسمه بتفسير المنشي، و"رسالة في الألفاظ التي وضعت على صيغة الجمع"، وكانت وفاته في سنة إحدى وألف وتوفي بالمدينة، ودفن في البقيع، ينظر: طبقات المفسرين، الأدنوي، 406/1 - 407. والأعلام، الزركلي، 51/6.

- وكتاب الأضداد للمنشي حققه ونشره محمد حسن آل ياسين ونشره في مجلة المجمع العلمي العراقي، مج35، ج2، 1984. وأعاد طبعه سنة 1963م. نقلا عن محمد المنجد في كتابه: "التضاد في القرآن الكريم"، ص20.

## المحاضرة الرابعة

### مواقف العلماء من وقوع التضاد:

نلاحظ مما وصلنا من كتب اللغويين القدامى في المنتصف الثاني من القرن الهجري الثاني أمثال الخليل بن أحمد، أن هذا اللون من الدلالات اللفظية كان معروفاً و متداولاً بين أهل اللغة، ويعد مفخرة للعربية، ودليلاً على سعتها و تميزها. ولم يرد إلينا أن لغويًا في تلك الفترة أنكره.

\* وأشار إلى كثرتة أبو العباس المبرد (ت285هـ): « ومنه - أي كلام العرب - ما يقع على شيئين متضادين كقولهم: جَلَلٌ للكبير والصغير وللعظيم أيضاً. والجَوْنُ للأسود والأبيض وهو في الأسود أكثر. والقوي للقوي والضعيف. والرجاء للرجبة والخوف. وهو أيضاً كثير<sup>(103)</sup> ».

\* وقد شدّد أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت328هـ) التّكثير على المنكرين للتضاد في مقدّمة كتابه "الأضداد"، فقال: «هذا كتاب ذكر الحروف التي توقعها العرب على المعاني المتضادة، فيكون الحرف منها مؤدياً عن معنيين مختلفين، و يظن أهل البدع و الزيغ والازدراء بالعرب، أن ذلك كان منهم لنقصان حكمتهم، وقلة بلاغتهم، وكثرة الالتباس في محاورتهم، و عند اتصال مخاطبتهم، فيسألون عن ذلك، و يحتجون بأنّ الاسم منبئ عن المعنى الذي تحته ودال عليه، وموضح تأويله، فإذا اعتور اللفظة الواحدة معنيان مختلفان لم يعرف المخاطب أيّهما أراد المخاطب، وبطل بذلك معنى تعليق الاسم على المسمّى.

فأجيبوا عن هذا الذي ظنوه و سألوا عنه بضروب من الأجوبة:

إحداهن: أن كلام العرب يصحح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله بآخره، و لا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، و استكمال جميع حروفه، فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنّها يتقدمها و يأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، و لا يراد بها في حال التكلم و الإخبار إلا معنى واحد؛ فمن ذلك قول الشاعر:

كل شيء ما خلا الموت جليل \*\*\* و الفتى يسعى و يلهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل "جلل"، و تأخر بعده على أن معناه: كل شيء ما خلا الموت يسير؛ و لا يتوهم ذو عقل و تمييز أن الجلل ها هنا معناه "عظيم". وقال الآخر:



الأول - علّل وقوع التضاد باتساع المعنى، فقال: « وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع.

فمن ذلك: الصّريم، يقال لليل صريم، وللنهار صريم؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد، وهو القطع.

وكذلك الصّارخ المغيث، و الصّارخ المستغيث؛ سميّا بذلك؛ لأن المغيث يصرخ بالإغاثة، والمستغيث يصرخ بالاستغاثة؛ فأصلهما من باب واحد.

وكذلك السُدفة: الظلمة، والسدفة: الضوء، سميّا بذلك؛ لأن أصل السدفة الستر، فكأن النهار إذا أقبل يستر ضوءه ظلمة الليل، وكأن الليل إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النهار.

والجلل: اليسير، والجلل: العظيم، لأن اليسير قد يكون عظيما عندما هو أيسر منه، والعظيم قد يكون صغيرا عند ما هو أعظم منه»<sup>(109)</sup>.

الثاني - علل وقوع التضاد باختلاف اللهجات العربية: قال: « وقال آخرون: إذا وقع الحرف على معنيين متضادّين، فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما، ولكن أحد المعنيين لحيّ من العرب، والمعنى الآخر لحيّ غيره، ثم سمع بعضهم لغة بعض، فأخذ هؤلاء عن هؤلاء، وهؤلاء عن هؤلاء. قالوا: فالجون الأبيض في لغة حي من العرب، والجون الأسود في لغة حي آخر، ثم أخذ أحد الفريقين من الآخر»<sup>(110)</sup>.

ومن خلال هذا العرض لنص أبي بكر الأنباري نلاحظ أمرين اثنين:

الأول - لم يشر الأنباري إلى موقفه من الآراء التي ذكرها عن الفريقين في تعليل وقوع التضاد، وكأنّه يرتضي هذين المسلكين، ففي كلامه ما يشير إلى إنكاره أصالة الضدية، وذلك في قوله: "فمحال أن يكون العربي أوقعه عليهما بمساواة منه بينهما"<sup>(111)</sup>.

الثاني - قول أبي بكر الأنباري بعلي "اتساع المعنى، واختلاف اللهجات"، يتفق في ذلك مع ابن درستويه، إلّا أن هذا الأخير وصّف هذا المبدأ لرفض التضاد و إنكاره، بينما الأنباري جعله سببا لوجود الأضداد<sup>(112)</sup>.

(109) كتاب الأضداد، أبو بكر الأنباري، ص 8 - 9.

(110) المصدر نفسه، ص 11-12.

(111) ينظر: "التضاد في القرآن الكريم"، محمد المنجد، ص 42.

(112) ينظر: المرجع نفسه.

\* وفي القرن الرابع أنكر أبو علي الفارسي (ت377هـ)<sup>(113)</sup> على أحد شيوخه نكرانه للأضداد، وردّ قوله بالحجّة من جهتين: السماع، والقياس، فقال: « وقد كان أحد شيوخنا ينكر الأضداد التي حكاها أهل اللغة، وأن تكون لفظة واحدة لشيء وضده. والقول في هذا أنه لا يخلو في إنكار ذلك ودفعه إياه من حجة من جهة السماع أو القياس، ولا يجوز أن تقوم له حجة تُثبت له دلالةً. من جهة السماع: بل الحجّة من هذه الجهة عليه؛ لأن أهل اللغة كأبي زيد وغيره، وأبي عبيدة والأصمعي ومن بعدهم، قد حكوا ذلك. وصنّفت فيه الكتب وذكروه في كتبهم مجتمعاً ومفترقاً. فالحجة من هذه الجهة عليه لا له.

فإن قال الحجّة تقوم من الجهة الأخرى: وهي أن الضد بخلاف ضده، فإذا استعملت لفظة واحدة لهما جميعاً ولم يكسب كل واحد من الضدين لفظاً يتميز من هذه ويتخلص به من خلافه أشكّل وألبس، فعلم الضد شكلاً والشكل ضدّاً والخلاف وفاقاً وهذه نهاية الإلباس وغاية الفساد. قيل له: هل يجوز عندك أن تجيء لفظتان في اللغة متفقتان لمعنيين مختلفين؟ فلا يخلو في ذلك أن يجوّزه أو يمنع، فإن منعه وردّه صار إلى ردّ ما يعلم وجوده وقبول العلماء له ومنع ما ثبت جوازه وشبّهت عليه الألفاظ فإنها أكثر من أن تُحصى وتُحصَر، نحو وَجَدْتُ الذي يراد به العلم والوجدان والعَضَب. وَجَلَسْتُ الذي هو خلاف قمتُ وَجَلَسْتُ الذي هو بمعنى أتيتُ نَجْداً وَنَجَّدُ يقال لها جَلَسَ؛ فإذا لم يكن سبيل إلى المنع من هذا ثبت جواز اللفظة الواحدة للشيء وخلافه، وإذا جاز وقوع اللفظة الواحدة للشيء وخلافه، جاز وقوعها للشيء وضده. إذا الضدُّ ضَرَبْتُ من الخلاف وإن لم يكن كل خلاف ضدّاً»<sup>(114)</sup>.

\* ووصف ابن فارس (ت395هـ) استعمال الأضداد بأنها سنّة متبعة بين اللغويين، ولم ينكره إلا قلّة، فقال: « ومن سنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادّين باسم واحد، نحو (الجون) للأسود و(الجون) للأبيض. وأنكر ناس هذا المذهب، وأنّ العرب تأتي باسم الشيء وضده. وهذا ليس بشيء، وذلك أنّ

---

(113) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان بن أبان أبو علي الفارسي الفسوي، الإمام العلامة، قرأ النحو على أبي إسحاق الزجاج، وأخذ عنه كتاب سيبويه، وبرع في النحو وانتهت إليه رئاسته، أخذ عنه النحو خلق كثير كابن جني. وله كتاب التذكرة، وكتاب الحجّة في القراءات، وكتاب الأغفال، وكتاب الإيضاح، والتكملة وغير ذلك. ينظر: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، الفيروز آبادي، ص13.

(114) المخصص: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف بابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ، 1996م، 173/4.

الذين رَوَوْا أَنَّ العرب تسمي السيف مهَنَدًا والفرس طِرْفًا، هم الذين رَوَوْا أَنَّ العرب تُسَمِّي المتضادَّين باسم واحد»<sup>(115)</sup>. فردَّ ابن فارس على هؤلاء كان مبنياً على أن الذين قالوا بالتضاد هم أنفسهم من ذهبوا إلى القول بالاشتراك وتعدد الوجوه للفظ الواحد.

\* وكان ممن خالف من سبق ذكرهم أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت291هـ)، ونفى التَّضاد في كلام العرب، فقال: « ليس في كلام العرب ضدٌّ؛ لأنه لو كان فيه ضدٌّ لكان الكلام محالاً؛ لأنه لا يكون الأبيض أسود ولا الأسود أبيض، وكلام العرب وإن اختلف اللفظ فالمعنى يرجع إلى أصل واحد. مثل قولهم: التلعة وهي ما علا من الأرض، وهي ما انخفض؛ لأنها مسيل الماء إلى الوادي، فالمسيل كله تلعة فمرة يصير إلى أعلاه فيكون تلعة، ومرة يتحدر إلى أسفله فيكون تلعة، فقد رجع الكلام إلى أصل واحد وإن اختلف اللفظ. وكذلك الجون هو الأسود، وإذا اشتد بياض الشيء حتى يعشي البصر رئي كالأسود. والصارخ المستغيث والصارخ المغيث؛ لأنه صارخ منهما...»<sup>(116)</sup>. والظاهر أن أبا منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ت540هـ) يرجِّح هذا الرأي في كتابه "شرح أدب الكاتب"، حيث وصف الفريق المنكر للتضاد بالمحققين، فقال: « المحققون من علماء العربية ينكرون الأضداد ويدفعونها»<sup>(117)</sup>.

\* أما المحدثون فنجدهم كذلك بين منكر لظاهرة التضاد ومؤيد لها، وفي مقدِّمة هؤلاء عبد الفتاح بدوي الذي سلك مسلك ابن درستويه، وردَّ على المؤيدين لهذه الظاهرة، فقال في ردِّه على "قايل": « إننا لنتحدى الذين يزعمون أن في اللغة أضدادا، ونباهلهم بجميع كلمات اللغة العربية أن يأتونا بلفظ واحد، فإن لم يفعلوا - ولن يفعلوا - فليس في اللغة تضاد»<sup>(118)</sup>.  
فالأضداد لديه دليل على عدم الإبانة، وذلك في قوله: « ينبغي أن لا يعزب عنا أن التضاد مناف لطبيعة اللغة»<sup>(119)</sup>.

(115) الصاحبي في فقه اللغة العربية، ابن فارس، ص117. وينظر: المزهري في علوم اللغة، السيوطي، 387/1 - 389.

(116) شرح أدب الكاتب: الجواليقي منصور بن أحمد، تحقيق ودراسة: الدكتورة طيبة حمد بودي، مطبوعات جامعة الكويت، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1995م، ص205.

(117) المصدر نفسه.

(118) دائرة المعارف الإسلامية: أحمد الشنتناوي، دار المعرفة، بيروت، 518/3.

(119) دائرة المعارف الإسلامية: أحمد الشنتناوي، دار المعرفة، بيروت، 512/3.

كما نأخذ من السياق دليلاً على أصالة التضاد، فقال: « والصعوبة التي تنشأ من التضاد أكبر جداً من التي تنشأ من الاشتراك، و إذا قيل إن القرائن توضح المراد كان هذا تسليماً حقاً بمنافاة التضاد لطبيعة اللغة؛ لأن الاعتماد على القرائن ليس من طبيعة اللغات في سداجتها، وإنما هو طور آخر فوق ذلك»<sup>(120)</sup>.

\* وفي المقابل لهذا الطرف نجد من المحدثين من أقرّ المؤيدين للتضاد، وفي مقدمتهم توفيق محمد شاهين، الذي رأى أن المجال أوسع مما ذكر غيره، فالكلمات العربية المتضادة كثيرة جداً لديه، قال: « والأمر في نظري يزيد على أربعمئة لفظة بكثير، وهذا ليس بالقدر اليسير في تنمية اللغة العربية»<sup>(121)</sup>.

\* وبين رأي هذين الطرفين استقر موقف جماعة من المحدثين، حيث ذهبوا إلى أن الأحرف المتضادة قليلة. في مقدمة هؤلاء الدكتور منصور فهمي وصف المنكرين مطلقاً و المؤيدين مطلقاً بالمغالاة، فقال: « ويخيل إلينا أن الفريقين أسرفا فيما ذهبوا إليه من المبالغة في إثبات الأضداد أو إنكارها إنكاراً تاماً؛ فأما الذين أبطلوا الأضداد، فعندنا أنهم غلوا فيما ذهبوا إليه لوجود بعض الألفاظ تشهد على التضاد فيما بين أيدينا من كتب اللغة، حتى أن ابن درستويه نفسه - وهو من المنكرين - قرر وجود النادر من تلك الألفاظ... وأما الذين أثبتوا الأضداد، وبالغوا في عددها على نحو ما بينا، فقد انحرفوا عن جادة الصواب؛ ذلك لأن هناك كثيراً جداً من الألفاظ حشرت حشراً بين الأضداد، بعد أن زيد في معناها زيادة لم تكن في أصل الوضع»<sup>(122)</sup>.

\* ومن هؤلاء أيضاً الدكتور إبراهيم أنيس في قوله: « ما روي عنها من الشواهد يعوز أكثره النصوص الصريحة القوية، وحين نحل أمثلة تضاد في اللغة العربية ونستعرضها جميعاً، ثم نحذف منها ما يدل على التكلف و التعسف في اختيارها يتضح لنا أن ليس بينها ما يفيد التضاد بمعناه العالمي الدقيق إلا نحو عشرين كلمة في كل اللغة»<sup>(123)</sup>.

\* ويرى الدكتور رمضان عبد التواب اشتراط اتحاد الكلمة ومتعلقاتها في المعنيين المتضادين، ويرد الأضداد فيما لا شاهد له، كما استبعد أضداد الكلمات التي بنيت أضدادها على التصحيف

(120) المرجع نفسه، 516/3.

(121) "التضاد في القرآن الكريم"، محمد المنجد، ص42، نقلاً عن المشترك اللغوي، لتوفيق محمد شاهين، ص199.

(122) "التضاد في القرآن الكريم"، محمد المنجد، ص42، نقلاً عن الأضداد، منصور فهمي، ج2 (1935)، ص233 - 234.

(123) في اللهجات العربية، ص185.

والتحريف<sup>(124)</sup>، فيقول: «ويبقى بعد هذا مجموعة صالحة من كلمات الأضداد في العربية، ولا شك في أن الأصل فيها كلها دلالتها على معنى واحد، غير أن هناك عوامل كثيرة، أدت إلى التضاد فيها»<sup>(125)</sup>.  
\* والدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه "فقه اللغة"، استعرض آراء القوم الذين قالوا بعدم وروده مؤولون أمثلته بما يخرجه عن باب التضاد، كما ورد ذلك عن ابن درستويه الذي ألف كتابا سماه "إبطال الأضداد"، وابن سيده روى الإنكار عن أحد شيوخه في كتابه المخصص<sup>(126)</sup>.  
كما استعرض رأي الفريق المخالف الذي ذهب إلى كثرة وروده في اللغة، أمثال الفراهيدي، وسيبويه، وأبو عبيدة، وابن فارس، وابن سيده، والمبرد وغيرهم<sup>(127)</sup>.  
ثم أبدى موقفه من كلا الفريقين، فقال: «وكلا الفريقين قد تنكب جادة القصد فيما ذهب إليه. فمن تعسف إنكار التضاد ومحاولة تأويل أمثلته جميعا تأويلا يخرجها عن هذا الباب، كما فعل الفريق الأول. وذلك أن بعض أمثلته لا تحتل أي تأويل من هذا القبيل؛ حتى أن ابن درستويه نفسه، هو على رأس المنكرين للتضاد، قد اضطر إلى الاعتراف بوجود النادر من تلك الألفاظ...  
غير أنه لم يكثر وروده في اللغة العربية على الصور التي ذهب إليها الفريق الثاني. وذلك أن كثيرا من الأمثلة التي ظن هذا الفريق أنها من قبيل الأضداد يمكن تأويلها على وجه آخر يخرجها عن هذا الباب»<sup>(128)</sup>.

ثم ذكر عددا من التأويلات وأمثلتها:

**1 - استعمال اللفظ في ضد ما وضع له لمجرد التفاضل: كاستعمال السليم للملدوغ، والريان للعطشان.**

**2 - استعمال اللفظ في ضد ما وضع له لمجرد التهكم، أو لالتقاء التلغظ بما يكره التلغظ به: كاستعمال البصير للأعمى، و المولى للعبد، و الخفيف للثقيل.**

(124) ينظر: فصول في فقه العربية: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408هـ - 1987م، ص 241 - 242.

(125) المرجع نفسه، ص 246.

(126) ينظر: فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي. دار النهضة، القاهرة. الطبعة السابعة، ص 193.

(127) ينظر: المرجع نفسه.

(128) المرجع نفسه، ص 194.





ثم ختم هذا العرض بقوله: « فإذا نحن حذفنا من قائمة الأضداد التي ذكرها أبو بكر الأنباري وأضرابه ممن بالغوا في إثبات التضاد ما يمكن أن يحذف على ضوء الملاحظات السابقة وما إليها فربما لا يبقى في باب التضاد بمعناه الصحيح إلا مفردات قليلة»<sup>(133)</sup>.

\* ونظر الدكتور محمد نور الدين المنجد لموضوع الأضداد من خلال منهجين اثنين، فبعد سرده لمواقف المتقدمين والمحدثين في هذا الموضوع، قال: « والذي نراه في هذا الشأن أن ننظر إلى الأضداد من خلال منهجين معا لا مفر من ذلك:

الأول: هو المنهج التاريخي الذي يقودنا إلى أصل الوضع اللغوي، و الحكمة منه هي الإبانة عما يجيش في النفس والعقل من أحاسيس وأفكار، وهنا تجدنا صائرين لا محال إلى إنكار أصالة الضدية إنكارا تاما؛ لأنه محال التعبير والتواصل بين الناس حول الشيء وضده باللفظ الواحد، نرى هنا ما ذهب إليه ابن درستويه وأتباعه من أن اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على المعنى وضده، لما كان ذلك إبانة، بل تعمية وتغطية .

والمنهج الثاني: هو المنهج الوصفي، الذي يرينا الواقع اللغوي بعد أن أحاطت بالألفاظ عوامل كثيرة - عما قليل نذكرها - أدت إلى انحرافها عن معانيها الأصلية إلى أضدادها، إما فجأة وإما ببطء، ثم شاع استخدامها بين العرب الخالص في الجاهلية والإسلام بمعنيها الأصيل والدخيل، فأصبحت بذلك أضدادا، وجمعت في مصنفات أفردتها العلماء لهذه الظاهرة.

ولا مانع عندنا من قبول كل العوامل التي أدت إلى نشوء هذه الظاهرة مادامت الألفاظ المفردة تدل على معنيين متضادين في الاستعمال من دون تعسف أو تمحل ونحن بهذا نخالف بعض المحدثين الذي رفضوا بعض عوامل التضاد وقبلوا بعضها أو قسموا التضاد إلى تضاد ظاهري وتضاد حقيقي»<sup>(134)</sup>.

(133) المرجع نفسه، ص 197.

(134) التضاد في القرآن الكريم"، محمد المنجد، ص 55 - 56.